السلطان أبو العز الرشيد

ابن الشريف بن علي الشريف دفين باب ايلان من مراكش، ابن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف دفين سجلماسة بن الحسن بن محمد بن حسن الداخل ابن قاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد[1] النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء البتول بنت محمد خاتم المرسلين، وحبيب رب العالمين، صلى الله عليه وآله وصحبه والتابعين.

ولد المترجم بسجلماسة سنة أربعين وألف وتبوأ عرش الملك بفاس أوائل ربيع الثاني عام ١٠٧٥ خمسة وسبعين وألف هجرية موافق سنة ١٦٦٤ أربع وستين وستمائة وألف مسيحية، وقد قرئت بيعته بين يديه، وتوفي بمراكش يوم الخميس تاسع ذي الحجة وقيل عاشره عام اثنين وثمانين وألف سنة، ١٩٧٢ اثنين وسبعين وستمائة وألف مسيحية.

هذا السلطان من أَجَلِّ من أنجب الإسلام من السلاطين والملوك كم عمر مع قصر مدته ما كان غيره دمر، وعلى عهده قدس سره راجت نصائح العلم وعمرت أسواقه بعد الكساد:

فقد كان يحضر دروس العلماء بكلية القرويين ويحضهم على بث العلم ونشره ويناقشهم في دقائق المسائل ويشجعهم على ذلك بوافر العطايا؛ فتنافس العلماء

---

(١) هذا هو الأصح في هذا العمود الشريف المعروف لدى السايين بسلسلة الدهب وقد وهم وخلط وحبط من زاد فيه بعد القاسم الآخر ما نصه: ابن الحسن بن محمد بن عبد الله الاشتر بن محمد النفس الزكية وقد أوضحنا خطأ وحطل من مال إلى ذلك في المزع اللطيف صح مؤلفه.

والمتعلمون، {وفي ذلك فليتنافس المتنافسون} وأقبلوا على التعلم والتعليم والملازمة لدراسة مختلف الفنون؛ فكانت النهضة العلمية وافرة، قال العلامة أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي في رسالته لأبي النصر إسماعيل بعد أن ذكر من رفع منار العلم من الملوك ووقع الفنور فيه بعده ما صورته: ثم جاء المولى الرشيد بن الشريف فأعلى مناره، وأوضح نهاره، وأكرم العلماء إكرامًا لم يعهد وأعطاهم ما لم يعد، ولا سيما بمدينة فاس ففضح من قَبْلَه وأتعب من بعده، ولو طالت مدته لجاءته علماء كل بلده.

آثاره الخالدة التالدة بفاس:

منها تأسيس مدرسة الشراطين المحكمة البناء الجميلة الشكل الأنيقه الوضع؛ لدراسة العلم وسكنى طلابها، وجعل فيها طبقات فلاتا بعضها فوق بعض، تشتمل تلك الطبقات على مائتي بيت واثنين وثلاثين بيتا وقبة للصلاة قرأت في نقش قناطر الخشب المحيط بمباحاتها بخط مشرقي بلغ الغاية في النفاسة والإبداع: (النصر والتمكين. والفتح المبين. لمولانا الرشيد بن مولانا الشريف أيد الله بعزيز نصره أوامره. وظفر جنوده وعساكره). ولهذه المدرسة بابان متقابلان؛ أحدهما من الجهة الجنوبية، والآخر من الشمالية وبكل زاوية من زوياها الثلاث دويرة وبالرابعة الميضاة.

(منظر من مناظر فاس) ١٣

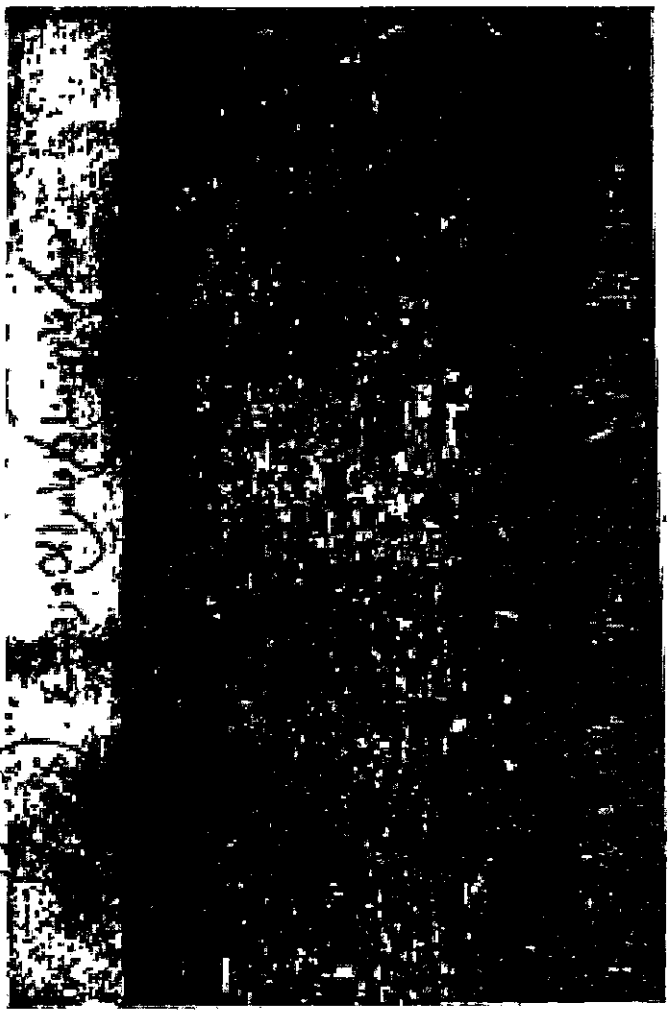

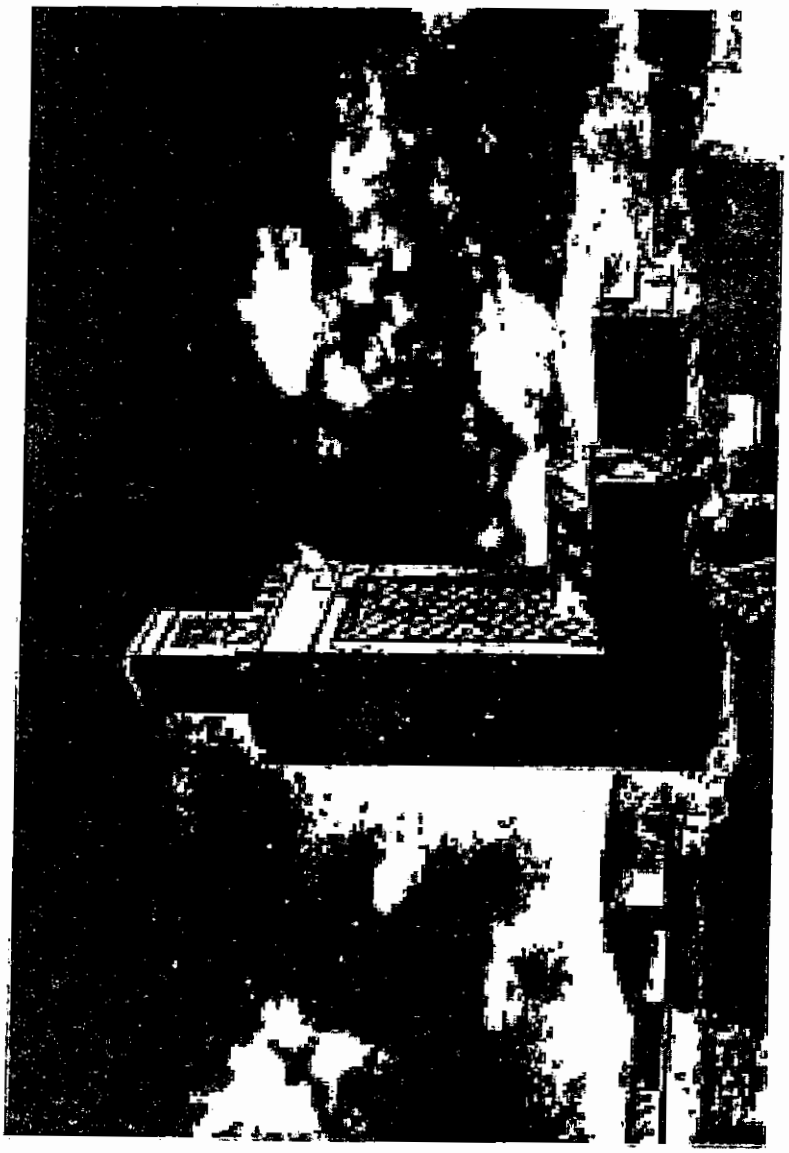

دار الظلام الكبرى قاس الجديد

وكان ابتداء العمل في بنائها أوائل شعبان عام ألف وواحد وثمانين، وانتهاء العمل فيها كان في الدولة الإسماعيلية عام تسعة وثمانين وألف، يدل لذلك ما قاله في تاريخ إكمال بنائها سيوطيُّ زمانه، ومفرد أوانه، العلامة المشارك المبرز في سائر الفنون أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي الفاسي المولود زوال يوم الأحد سابع عشر جمادى الأخيرة عام أربعين بعد الألف، المتوفى يوم الثلاثاء سادس عشر جمادى الأولى عام ستة وتسعين وألف وإليكم لفظه:

انظر لبهجة بيت الله يا رائي ... وسرح الجفن فيها بين أرجاء
تخالها جنة تزهى مزخرفة ... بطيب الزهر من أنفاس قراء
تهدي حلي قارئيها من شمائلها ... فتحسب الزهر ناجت ذات أنداء
بيت الصلاة وإيواء الطلاب وما ... يغشى من البر أو يرى من إهداء
وقد تأنق وشيها وطرزها ... حسن الزرابي في تحبير وشَّاء
ونمقت بردها بسطٌ مدبجة ... مثل العرائس في حلي وإحلاء
كأنما احتفلت للوفد زاهية ... كالروض في أرج يذكر وإزهاء
توريقها كالعذارى ضفرها[1] نشرت ... على شائق وجنات كإدماء
أنوارها (تخطفت١٠٨٩) الأبصار مشرقة ... من أجل ذا (خطفت١٠٨٩) تاريخ انشاء

ومنها تأسيس الخزانة العلمية بالجانب الجنوبي من الجامع الأعظم بفاس الجديد وتحبيس نفائس الكتب عليها يدل لذلك ما قرأته في نقش خشب بأحرف بارزة بأعلى المحامل التي توضع بها الكتب ولفظه:

«الحمد لله حق حمده، هذه خزانة أَمَرَ بصنعها وإنشائها الإمام الأوحد الهمام أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، مولانا الرشيد بن مولانا الشريف بن مولانا علي

(١) الضفر لسخ الشعر وعيره عريضا وبابه ضرب.

الشريف الحسني، أيد الله أمره، وأعزه بعزه بتاريخ فاتح شهر الله الحرام عام تسعة وسبعين وألف».

وما قرأته في عقد حبس هذا لفظه: حبس مولانا الهمام، غيث الغمام، خليفة الله على عباده، وظله في أرضه وبلاده، فخر الأمراء، وسليل الأئمة الكبراء، ذو الجاه المديد، والعز المشيد، أمير المسلمين القاهر بالله أبو المعالي مولانا الرشيد، جميع هذا المجلد المسمى بالتخليص في تفسير القرآن العزيز المكتوب على أول ورقة منه على خزانته العلمية السعيدة التي أنشأها بالجامع الكبير من حضرته العلية فاس الجديدة؛ لينتفع بها من فيه أهلية الانتفاع من المتبوعين والاتباع، حبسا مؤيدا على الدوام والاستمرار قصد بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم، والدار الآخرة بحيث لا يبدل ولا يغير فمن سعى في تبديله أو تغييره فالله حسيبه، وقصدًا لإذاعة العلم وإفشائه كما هي سيرة الخلفاء المهتدين أثابه الله على قصده، وخلد في صفحات المكرمات ذكره بالنبي وآله، وبسط أيده الله تعالى يقيم الخزانة على حوزه فحازه عام اثنين وثمانين وألف» صح منه مباشرة وقد نقلت البقية الباقية عن الأرضة واليد العادية في هذه الخزانة إلى الخزانة القرويين عمرها الله.

ومنها تأسيس الأقواس الأربعة من قنطرة وادي سبو الموالية لفاس العديمة النظير في بناءات أهل المغرب الأقصى؛ أنفق في بنائها اثنين وخمسين قنطارا، كان تجار أهل فاس استقرضوها منه في ذي الحجة الحرام سنة تسع وسبعين وألف ولما قضوا الدين صرف العدة في البناء المذكور.

وكان ابتداء العمل في حفر أساسها خامس عشر جمادى الثانية عام ١٠٨١ أحد وثمانين وألف، وقد تبارى شعراء الدولة في وصف تلك القنطرة وضبط تاريخ البناء وأبدعوا في ذلك ما شاءوا، فمما قاله أبو علي اليوسي:

انظر إلى هذا الجمال الباهي العادم الأمثال والأشباه

إلى أن قال مشيرًا للتاريخ، ومنوها بأعمال المؤسس:

وشادها حسناء ترفل في حلا ... ورق على در من الأمواه
عاما (شفا١٠٨١) فيه النفوس من العنا ... وأجارها من جائر مجباه
من غير ما عجب فما تشييدها ... في جنب ما صنع الرشيد وما هي
إن الصنائع منه ينسي بعضها ... بعضا فهن على الحسود دواه

وقال أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي الفاسي:

هاذه قنطرة قد بنيت ... عام (إحدى وثمانين وألف)
أكملتْ في سنة مع ربع ... ومدى الأعمال فيها نحو نصف
بدئت ثاني وعشرين لذي ... حجة قبل مضي فصل خرف
وأتى فصل الشتا وهي على ... اسها حتى بدا الفصل الموف
فأنبتت في فصلي الصيف معا ... وغدت في الحسن فوق كل وصف
شادها المولى (الرشيد) الحسني ... الذي قوي الورى من بعد ضعف
زاده الله علا فوق علا ... وسخاء للورى أغنى وكف

وقال في ذلك أيضا:

برزت كالحق محمود اتصاف ... لائح الأنوار ما فيه اختلاف
فغدت من حسنات ابن الألى ... شرفوا من حسن بين الشراف
شادها من شوهدت آياته ... للورى بينة غير خواف
خير من ألقى على القوم الهنا ... والذي مهد للسبل العواف
ملك حاز الذي حازه ... ملك في الفخر من عبد مناف
بالرشيد بن الشريف شرفت ... وبدت بين سماح وعفاف
قد فشا١٠٨١ تاريخها فهو شفا١٠٨١ ... وهدى للمومنين فهو شاف١٠٨١

وجدد قنطرة ابن طاطوا الشهيرة خارج باب بني مسافر المعروف اليوم بباب سيدي أبي جيدة، يدل لذلك ما قرأته في نقش زليج أسود بأعلى قوسها دونكم لفظ الباقية من ذلك:

يـا نـاظرا حـسني ومـا...تِـهِ ... مـن حـسن بنيـاني ومـن تـشييد
لا غـرو أني غـادة حـسناء في ... كـل الـصفات أفـوقُ كـل مـشيد
لا كـن فخـري حيـث كـان تـشيدي ... بـالأمر مـن تـاج الملـوك (رشـيد)
أبـدي الـصنائع حـصه مقـدورة ... للخلـق في صـنعي وفي تجديـد
في عـام شـاف١٠٨١ قـد شـفيت بطبـه ... في مطلـع وافي يلـوح سـعيد

وجدد قنطرة الرصيف الممرور عليها إلى جزاء أبي برقوقة من عدوة الأندلس وذلك في شوال العام، وقيل في ذي القعدة منه، وجدد قنطرة وادي فاس وهي المعروفة اليوم بالقنطرة الطويلة، وأسس القنطرة الشهيرة خارج باب البوجات وهي الأن بداخل مشور الباب المذكور أدخلها إليه السلطان المقدس المولي الحسن لما سوره[1] وأسس قنطرة وادي النجا وقنطرة باب الجديد أحد أبواب فاس، وذلك في العام المذكور حسبما في التقاط الدرر، وفي إحدى هذه القناطر يقول أبو زيد الفاسي المذكور:

انظـر إلى فـضة بيـضاء قـد بـسطت ... جـسرا عـلى نهـر يجـري مـن الـدرر
كغـرة فـوق أشـكال الـدما لمعـت ... أو بـارق لامـع في ليلـة القمـر
أو لجـة مـن لجـين أن بـدت درر ... بهـا يـد البحـر قـد جـادت عـلى النهـر
لا تعجـبوا لنثـير الـدر كيـف جـرى ... فـالبحر يجـري بمنظـوم ومنتـثر
هـاذي مـآثر مولانـا الرشـيد بـدت ... عـن سـيرة سـار فيهـا أحـسن السـير

(١) حائط المدينة جمع أسوار وسيران وما طال من البناء وحسن صح ق ملخصا.

مـــن رام تعريفـــه ينظـــر مـــآثره ... فـما العيـان كمـن قـد جـاء بـالخبر
تاريخها (ظفرا١٠٨١) لما تـلا ظفـرا١٠٨١ ... جاءت ترى شمسا١٠٨١ من ذلك الظفـر
أبقـاه رب العـلا ذخـرا يزيـد عـلا ... لجلـب منفعـة أو دفـع ذي ضرر

وأسس القصبة الجديدة الكائنة بأبي الجنود التي هدم طرف منها زيد في توسعة الطريق، أنفق في تسويرها ألفي مثقال، وأمر فريقا من جنده ببناء الدور وسكناهم بها وذلك أواسط العام المذكور، وأسس قصبة الخميس حيث المستشفى الأن المعروف بمستشفى قصة الشراردة أنفق في تسويرها ألف دينار وأنزل بها شراكة الذين قدموا معه من الشرك ونظمهم في جنده.

وأسس بالقصور السلطانية من المدينة البيضاء صرحا بديع الشكل محكم الصنع آية في النقش والتزويق، وكان من جملة العملة فيه الأسير مويت الفرنسي قال أبو عبد الله الضعيف لما أجرى ذكر هذا الصرح ما لفظه: وكان منزها عظيما يدل على ضخامة مملكة المولى الرشيد، وفيه عبرة لمن اعتبر وهذا المنزه هده المولى سليمان لادعاء القائد عياد عتيك أن الشرفاء يشرفون على حريمه منه، ولعل في وصفه وتاريخ بنائه يقول أبو زيد المذكور:

أنـــا في الحـــسن عادمـــة النظـــير ... أتيـــه عـــلى مزخرفـــة القـــصور
بـــديت تبرجـــا كـــالأرض تزهـــى ... إذا حيـــت بـــأنواع الزهـــور
وقـــد راض الربيـــع الـــروض منهبـــا ... فمـــد حـــلاه مرحـــي الـــستور
مـــن أخـــضرا ومـــن أصـــفرا ورياض ... مكـــوفر أو معنـــبر أو عبـــير
عَـــلَيَّ المنـــزه الأعـــلى رقيـــب ... كـــسا مـــن ســـندس زهـــو البـــدور
يحـــاكي بانـــة قامـــت ســـكونا ... إذا مـــا اهتـــز ريـــات الخـــصور
وينـــسي درة الغـــواص تحكـــى ... بنـــات العـــشر ناهـــدة الـــصدور

ويطرب من رآه بحسن مرءى ... إذا أصحته فاعلة العصير
تبرج خير برج بين حسني ... تبرج ذات حسن للذكور
منصته صفاح الخد مني ... محاسنهن باسمة الثغور
مفضلة مكملة جمالا ... مكللة من الدر النثير
وما أدراك ما كرسي ملك ... أضاء سني على الدنيا بنور
فأصبح مشرقا في الغرب يمحي ... ظلام المدلهم من الشرور
ويبتهج الزمان به ابتهاجا ... أضاء الخافقين لدا الظهور
بناني أشرف الأملاك حتى ... قصوري قصرت حوم الصقور
فصرت جليلة بين المباني ... أضاهي الحسن من بخت الشعور
وتحكي من حروف الحسن مني ... قويم الشكل مختلف السطور
وما حسني لذاتي بل لمالي ... من آثار الأمير ابن الأمير
(بمولاي الرشيد) أصول حتى ... كفاني شهرة شرف الشهير
فطلعته كست منه جمالا ... به ابتهجت عيون من حبور
تنزه أيها الراءي فحسني ... بدا لك منه مبتسم السفور
وفي تسع وسبعين وألف ... أتى التاريخ شوال الشهور
كساني الله من مرءاه عزا ... ومكرمة من العش النضير
ودام بخير من شاد المباني ... ثناء الملك في لهج العصور
ودم يا أيها الملك المفدى ... بخير ما بقيت على خيور

وفي بعض قببه يقول أيضا:

هذي منازل أهل الفضل والجود ... يبدو عليهن إحسان الأجاويد
فيها المحاسن فيها الجود واضحة ... آثاره من عظيم المجد مقصودي

تقلدت من يواقيت الجمال ومن ... معنى الكمال بحسن غير محدود
وأبرزت في برود تشتهي نظرا ... كالطرس يبرز حسن الأحرف السود
وأحمر مثل فقاح[1] الورود وقد ... علا الزمرذ[2] في القضبان من عود
وأصفر تبرز الإبريز بهجته ... مثل القلائد فوق الجيد من غيد
والازوردي حكى نور البنفسج أو ... ريحانة أو شمام الخد من خود
وكم خطوط عليهن الشحوب بدت ... في صفحها ما ترى في خط تجويد
فانظر إلى قبة تسمو بطلعتها ... على المنازل ما ريمت بتشييد
يزهو بها القصر زهو المسلمين بمن ... قد قام للدين والدنيا بتجديد
ولم يدع خطة إلا وقام بها ... من عفو أو صفح أو إنجاز موعود
من بعد إرث المزايا عن أب فأب ... وإن علوا محرزا أنواع تمجيد
ما كان للجود ذكر قبل مظهره ... حتى أحاط برفد منه مرفود
لم يقتصر رفده عن سائل أبدا ... أن يعن غير بتقصير وتمديد
أكرم بنسبة (مولانا الرشيد) ومن ... لم يال في نفي تشريد لترشيد
بحر الشجاعة بحر الجود بحر ندى ... بحر السماحة رحبا خير مورود
بأعظم البشر والأفراح فابتهجي ... على البروج بسعد منه مسعود
تلك المباني التي شادت عنايته ... يد السماحة أبدتها بتأييد
قد يظهر الجود معنى من محاسنه ... قد طالما لم يكن إلا لذي الجود
مولاي دامت لك الأمال مسرعة ... بالقصد إن تدعها لبت بموجود
هادي من أسعد آثار وأبركها ... بعون رب الورى فاشكر بتحميد

---

(١) مقل الزا مضمومة والذال معجمة البر حد والدال المهملة تصحيف.

(٢) المفتح من الأزهار.

وقد تجلت بتاريخ يبارك في ... تسع ١٠٧٩ وسبعين بعد الألف معدود
حسناء شماء من بيت بني حسن ... تنمي إلى الدوحة الشماء أن نودي
لازال منزلها مأوى السعود على ... رغم الحسود ومأوى كل مجهود

ويقول:

هنئت بالسعد يا بيت الكرامات ... وساعدتك الأماني بالإجابات
فازت يد خدمتك بالثناء على ... مر الزمان نفح العنبريات
تحكي تنفس أنفاس الربيع إذا ... أعاد ثوب شباب للاريضات[1]
أو خط قابوس مرموق المحاسن أو ... جناح طاوس منشور ابتهاجات
أو كالشقيق وتيجان العقيق على ... نحر الرقيق وصدغ فوق وجنات
أو العذارى يسرحن الضفائر في ... سطح من الدر أو ياقوت لبات
يلبسن من سندس واستبرق حللا ... كأنما هو لبس حور جنات
يا ما تأنق واشيه فأبدعه ... رقت حواشيه في إتقان صنعات
لولا محاسنه من خلق منشئه ... مخلوقة لم يحز تلك الشهادات
أكرم بمنشئه من يمن غرته ... زين السلاطين من بيت السعادات
أبو الفداء وذو الحلم الشهير وذو ... خصائل لم تكن في خير نسبات
ولم يدع رتبة إلا واحرزها ... حتى علا قدره عن كل رتبات
ولا مفاخر إلا وهو مالكها ... كأنما فيه مجموع البريات
له سجايا فلو ماء البحار بها ... ممزوجة أعذبت منها الملوحات
تبارك الله هذا البيت منزله ... فيه السعود بدت من عين منات

---

(١) جمع أربضة صغير أرض.

تاريخه١٠٥٧ في عظيم مَنّهِ ي[1] جمعت حروف اعداده عند اجتماعات
أبشر بها أيها الشهم الهمام فقد أوتيت من خير نيل الملك منيات
حييت يا بيت منصور اللواء بما يبدي نسيم سلام من تحيات

وأسس قبة النصر المعدة للاستقبال الملوكي بمشور باب الدكاكين والمباح أمامها والمسجد بإزائها، وجعل بزواياها مرافع لرفع الذخائر النفيسة القيمة من الكتب، وفيها يقول أبو زيد الفاسي:

بيت عجيب الشكل ذو بهجة كأنه من جنة غرف
في جوفه الأفلاك دائرة وأنجم تعلوا وتنعطف
قد أذن الله برفعته وذكره منه له شرف
وفتحت أبوابه رحمة وضفف السرر والزخرف
خير من استبرق من رقة مرقاه نزر بها السقف
أظرف١٠٨١ من كل ظريف يرى من أجل ذا تاريخه١٠٨١ أظرف

وجدد كثيرًا من القصور الملوكية المرينية التي لعب الخراب والتخريب فيها أدوارا ولا زال، يجوس خلالها بصفة مدهشة شأنه في آثار الممالك الإسلامية في المشارق والمغراب: {سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا}.

وضرب السكة وكان نقش إحدى جهاتها، (الله ربنا، محمد رسولنا، الرشيد إمامنا)، ونقش الأخرى (لا حول ولا قوة إلا بالله) وبالجوانب (ضرب بفاس عام ١٠٨١) وهو الذي سنَّ نزهة الطلبة الجاري العمل بها كل سنة إلى الآن بفاس ومراكش زمن الربيع؛ وذلك أنه لما فتك بابن مشعل واحتوى على ما كان لديه من

(١) لا بد من صحة هذا التاريخ الذي هو عظيم منه ي، من مراعاة تضعيف النون من منه فتحسب نونين كما انه لا بد من مراعات صلة الهاء.

الذخائر جعل لمن كان في معيته من الطلبة نزهة فاخرة، وقد كانوا نحو الخمسمائة ومن يومئذ اتخذت عادة سنوية مدة حياته وبعد موته قاله في فتح[١] المنان، شرح قصيدة ابن الوتان، وفي هذا السلطان يقول أبو زيد المذكور مادحا:

هنيئا بان من أفق سعيد ... هلالٌ فاق في أوج الصعود
بأنوار على الأقطار بانت ... ولاحت من سناه على الوجود
وعاد ظلام فتنتهم نهارا ... يضيء بنور (مولانا الرشيد)
أمام طوق الناس امتنانا ... وعاد على القريب مع البعيد
ونافس في العلا من كل وجه ... نفائس كل ماض أو عتيد
فلا محكي عنه سوى فخار ... وفضل ما جد وسخا وجود
وإحسان وصفح عن مسيء ... ورفد شامل كل الوجود
ونفس[٢] لم تدع للبحر الا ... عجيبا حل فيها مع مزيد
ولا للشمس من شرف وعلو ... ولا للبدر من حسن فريد
ولا للسيف وصفا من مضاء ... زرت[٣] منه الشجاعة بالأسود
هو البحر المحيط بكل خير ... حلاوته تعم لدى الورود
هو الشمس التي طلعت فاعفت ... ظلام الظلم مشرقة الوقود
وسيف الله مسلولا بأرض ... أراد بها السعادة للسعيد

---

(١) مؤلفه العلامة الأديب المؤرخ الثبت أبو محمد العربي بن علي المشرفي الراشدي قال: إنه شرع فيه مستهل عوال سنة أربع وتسعين ومائتين وألف أو في العشر الأواخر من رمضان العام وكمل استخراجه من مبيضته آخر جمادى الأولى من سنة خمس وتسعين ومائتين وألف. اهـ. وبالمكتبة الزيدية من هذا الشرح النادر الوجود نسخة في مجلدين.

(٢) يريد ونفسا لم تدع للبحر عجيبا الأحل فيها من مزيد.

(٣) زرى عليه زريا وزراية ومزرية ومزراة وزريانا بالضم عابه وعاتبه كازري.

وكهـــف المـــستغيث ومنتهـــاه ونفـــس الكيميـــاء لمـــستفيد
وبحـــر مـــن نـــضار يـــوم جـــود ويـــوم البـــأس بحـــر مـــن حديـــد
إذا وزنـــت بـــه الـــدنيا ومـــا في خزائنهـــا أمليـــت مـــن وحيـــد
ولـــو بيـــع الـــورى في العفـــو منـــه لمـــا وفـــاه بـــالثمن الأكيـــد
عفـــا مـــن بعـــد مقـــدرة وأســـدى مـــن الخـــيرات والـــرأي الـــسديد
وأحيـــا الأرض والنـــاس جميعـــا وصـــيرهم إلى العـــيش الحميـــد
فلـــولا كونـــه في النـــاس كـــانوا كلامًـــا دون معـــنى مـــن مفيـــد

وقال:

خـــق المـــديح لبحـــر الجـــود والكـــرم ومـــن لديـــه ملـــوك الأرض كالخـــدم
مـــا ذاك إلا بتخـــصيص الإلـــه لـــه (فـــما يقـــال لفـــضل الله ذابكـــم)
العـــدل ســـيرته والفـــضل شـــيمته (فالقسط مـن غيرهـا في النـاس لم يقـم)
والهجـــرة للـــذة الـــدنيا يزيـــد عـــلى (مـــا فيـــه مـــن كـــرم الأخـــلاق والـــشيم)
إذا قبـــل الـــسعد مـــن مـــرآه (وانبعثـــت إلى المكـــارم نفـــس الـــنكس والـــبرم)
لـــه مـــآثر مـــا بـــين الـــورى (ظهـــرت ظهـــور نـــار القـــرى لـــيلا عـــلى علـــم)
لـــولا ســـني طلعـــة منـــه بـــدت فهـــدت (حتى حكـــت غـــرة في الأعـــصر الـــدهم)
لا ســـود لاحـــب نـــور الحـــق وانتبهـــت (قـــوم نيـــام تـــسلوا عنـــه بـــالحلم)
هـــو الإمـــام (الرشـــيد) اســـما ومتـــصفا (والحـــق يظهـــر مـــن معنـــى ومـــن كلـــم)
نفـــي المظـــالم ردتهـــا عنايتـــه (رد الغيـــور رد الجـــاني عـــن الحـــرم)
وقـــد تكفـــل بالجـــدوى لـــوارده (سـعيا وفـوق متـون الا ينـق الـر؟)
حيـث الهبـات (كمـوج البحـر في مـدد وفـوق جـوهره في الحـسن والقيـم)
قل للوفـود اقـصدوا مـن هـو بحـر نـدى (ومـن هـو النعمـة العظمـى لمغتـنم)

الشمس تخفى ولا يخفى على أحد (فإنما اتصلت من نوره بهم)
فذد عن الدين يا نور البلاد (فقد ألحقت منفخما منها بمنفخم)
أبقي المدائح تتلى فيك خالقنا (ولا تسام على الإكثار بالسأم)

وقال:

سل الدهر قبل اليوم هل أبصر البسطا أو النعمة النضراء والعيشة السبطا[1]

إلى أن قال:

كأن النواوير الدنانير ألقيت على ثبج[2] من فضة سائل المعطا
فتحسبها حمر الشقائق وكرت على النهر حورا خدها يسعر الشطا
وقنوان ذاك السفح يبهر حسنها ويحكي امتداد القد في الهيئة الشطا[3]
كأن وجوها من حسان تجمعت وقد مزجت ثم الخدود بها خلطا
وأزهاره بل ناهر وعراره وتياره سر المحاسن قد أعطي
على سوق ياقوت بساعين فضة لها حدق الإبريز تستكمل الرقطا[4]
لها حلل من سندس وعمائم أديرت على ما راق منها وما انحطا
كحصباء در فوق أرض زبرجد ومنشور ثوب معلم حبر المرطا
فمن أحمر مثل العقيق وأزرق حكى الفك الأدنى إذا ما صفا كشطا[5]

---

(١) الواسعة السهلة.
(٢) صدر.
(٣) الحسة المعتدله.
(٤) بياض مشوب سقط سود، أو أحمر، أو صفر.
(٥) كساء من خز أو صوف.

ومن أصفر كالزعفران معصفر ... وأبيض لم يعلم فلاحته النبطا[١]

فمن يبغ كافات الشتاء نبيعها ... غناء براءات الربيع لمن اخطا

رياض وريحان وروح وراحة ... ورفد (ومولانا الرشيد) الذي أعطى

وإن قلت شينات فتلك وإنها ... لأشهر من نار على علم ملطا[٢]

شمائل تسقينا الشمول وشيمة ... شفاء وشمع والشواء من الشيطا[٣]

وشمس الورى (الشهم الشريف وشبله) ... يزيح من الأحزان والكرب ما اغتطا[٤]

وفي ضمنها السينات تطفئ لوعة ... من الصب هاجت منه أو أوهجت

سنى وسناء مع سراج وسكر ... وسعد وسلوان وسلم ولا سخطا

وسلطاننا سامي الذرى سيد الورى ... سليل السراة السالكين العلا شبطا[٥]

وضمنها الصادات فضلا ورحمة ... على الخلق فصلا بعد أن أظهر القسطا

صفاء وصحب والصدور وصحة ... وصفح صنوف الزهو تحسنه غبطا

على أثر ميات المراد لحاضر ... وباد ومن باهى ومن ألف الضغطا

مقام كريم مستقر مديحه ... وماء ومحبوب منى أسعف المرطا

وأفضل من هاذي (محيا أمامنا) ... أباح لنا مرآه مستسهلا بسطا

فبشراك يا وادي الجوهر أحييت ... رسومك بالخيرات من حاتم معطا

وبشراك يا دهر السعود فأمرها ... تسني له قد سخرته يد ضبطا

---

(١) المراد إزالة ما يغطي السماء من السحاب.

(٢) البع وسمي الأنباط أنباط لاستبطانهم ما يخرج من الأرضين.

(٣) المراد موصوف بصفة شهيرة يمتاز بها عن غيره.

(٤) النضج.

(٥) عم.

(٦) احتراما.

وبشراك يا جيش الفتوحات هذه ... مزية تاج المسلمين لكم حوطا
(ويا أشرف الأملاك) ما قط أجلت ... ملوك كما أوتيت أو عجلت قطا
وأني لمن خابر الدهر أهله ... فمثلك لم يعلم سوى عنك منحطا
وأيامك الأعياد ما قط عوينت ... ولا اعتادها قار ومن كتب الخطا
فمن ذا عباد الله فاعل فعله ... فقد نضر الأجسام بالنعمة الوسطى
وبجح أرواحا ويسر معسرا ... وأكسب معدوما وذا حاجة أعطى
وأتبع بالمعروف آخر لن ترى ... سواد طلاب في بياض من الأعطا
وألبس عريانا وأطعم جائعا ... وأغنى فقيرا..... (كدا)....
فما هو إلا جنة قد تزخرفت ... لذاك كظيظ الباب يشهد إذ أطا
سوى أنه الدنيا وزينتها معا ... وما لم تر العينان في طيه بسطا
هنيئا بدا كالشمس يهدي بنوره ... ويمحي ظلام الظلم إذ نفس الربطا
وكالبحر لولا ما به من عذوبة ... وكالبدر لولا البدر قد كلف النقطا
أحاديثه تسقي المدام بكوثر ... فتفعل سكرًا لا كن العقل ما غطا
فلو أوتي التصوير صور نفسه ... وما زادها فضلا على ما به اختطا
فذلك أسنى ما يكون وخيره ... وأعدله إذ كان عدل النهى وسطا
رعى الله أياما أتتنا بوصله ... وزينها بالفضل منه للاستعطا
وزين للإسلام آثار بره ... ونعمته كي يحكم العدل والضبطا
فتلك سيادات الوجود وخيره ... وخيرته لا غمص في الحق لا غمطا
ودم أيها القرم السليم مرفعا ... تعز وتدني البيض والسمر والخطا
وتعلي لواء المسلمين فيزدهي ... بفضلك من قد خاط واختط أو خطا ...